الاحسان في الاحسان

(لحضرة الأصولى النبيه حامد أفندى خلوصي بالاستئناف)

مما اشتغلت به العقول فى الشرق من مبتكرات الغرب ومخترعاته العلوم والفنون التى يحصل منها الانسان على راحته وأمنه فى حله وترحاله ومواصلاته ومعاملاته فدققت البحث فى ذلك وعلقت عليها الشروح الطوال

ولقد كان الشرقيون يباهون أهل الغرب فى ذلك ظنا منهم ان الكمال ليس الا راحة الانسان وهى تتوقف على استخدام بعض العلوم العائدة بالفوائد على مستعمليها وان هى لم تنفع مهمليها كعلم الطبيعة مثلا وما شاكله من العلوم فان طول البحث فيه أدى الى استخدام قوة البخار والكهرباء ولا شك انها أفادت وتفيد كل من يستخدمها وان أهملها الاكثرون وقد صرفت العقول اهتمامها عن العلوم التى لا تدرك نتائجها حتى يتداولها جميع الافراد كالعلوم الأخلاقية مثلا اذ بها يعرف القبيح والحسن وكيف يجتنب الأول ويتبع الثانى كالاحسان والامانة والصدق فان نتائج هذا العلم لا تعود بنفع ما الا اذا تداولها الجميع فاذا توحد شخص مثلا بالصدق فى أمة لا تعرف الا المين لم ينفعه صدقه بل ربما جلب له الضرر

على ان معرفة هذه العلوم واتباعها من أنفع المنافع للأمم اذ بها دون سواها تتوثق الروابط وعليها وحدها تتوقف الصلات المتبادلة بينهم

وموضوعنا الآن انما هو الكلام بطريق الاجمال على الاحسان الذى هو من أعظم الاخلاق وأرفعها وله اليوم محل عظيم بين العلوم الاجتماعية فنقول

خير احسان تلذ به النفس ويرتاح له الضمير هو ما أغنى السائل الذى

طوحته يد الزمن العسراء وأداه نحس ميلاده الى الوقوف أمام بنى جنسه باسطايد الضراعة، ذلا النفس وهي مجبولة على الكبر والأنفة يطلب منهم صدقة وما يغنيه فى الحقيقة الا معاونته وارشاده الي سبيل يخرج منه عضواً عاملا في قومه بعد أن كان عالة وحملا ثقيلا عليهم

وما منع الناس الي الآن عن الذهاب فى جميل هذا المذهب من الاحسان الا طبيعتهم التى جبلت على السرعة والملل وطلب النتيجة قبل الشروع في العمل فان رؤية الفقير المحتاج تحرك في الانسان عاطفة الحنو والرأفة فيبادر الي عمل البر فيرجع فى ذلك بطبيعته فيتصدق بصورة هى على حسب فكرته ومؤثراتها القريبة السهلة المستمرة فيسيء من حيث يحسن ويميت من حيث يريد أن يحيي

يقطب المحسن جبينه ويوارى وجهه حزنا وأسفا حينما يري الفقير الذى آثره على نفسه وبذل له من ماله ماقد يكون في حاجة اليه ينفق ذلك المال المعطى للخير والانسانية و لمحاربة العلة وشد العوز في أنكر سبيل تقشعر الابدان لمجرد مرور اسمه علي الآذان أو خطوره في الاذهان

أو عند مايرى أن هذا السائل الطاوى حياته القائمة على الفقر والشدة قد حصل عنده مايخفف الحال ويكفى هوان السؤال فأنفقه في تناول كأس من خمر هي لدناءتها تزيد فى حرج أمره وارتباكه

أو اذا علم ان هذا المسكين يعمل عملا هو في الحقيقة أعظم وقرا على النفس من أى ألم حسي أو معنوى يصيبها لولا ان الاضطرار والعادة يخففان من وطأته عليها ومع ذلك فهو يفقد كل ثمرة منه فى أنواع المنكرات والسموم المهلكات كالحشيشة والافيون والمقامرة وما شاكل ذلك من أبواب الفساد

على ان الكثيرين منهم بريئون فلا ينفقون قليل مايصل اليهم الا في شد الاود واستدفاع الحاجة ولكن لتعذر التفريق بين الفريقين أخذ البريء بذنب الاثيم وابتدأ الاحسان يقل والمحسنون ينقصون وهذه مصيبة عظمى على بني الانسان المدني بالطبع المفتقر الي التعاون

فالاحسان ضروري وأهل الشرق في مقدمة الامم برا وكرما واعانة للفقراء. وليس هذا بالامر المكتسب بل هو عاطفة غريزية فيهم غنية عن العواطف المثيرة ولكن يشينها وكل يأسف على ذلك استمرار ظهورها على أبسط الوجوه وأهون الوسائل وذلك بأن يضع المحسن يده في يد الفقير فيودع فيها شيأ من النقود

نعم ان هناك أعمالا في البر أشرف وأرفع قد جري عليها الناس عندنا من قديم مثل بناء الحياض واقامة التكايا الا أن هذه الاماكن لم تستوف بعد صفات المحلات الخيرية فهي منافية في غالب الاحيان لقوانين الصحة ومقصورة على فئة من الناس هم أشد حاجة الي الحركة والعمل منهم الى البطالة والكسل

ومع اننا معشر الشرقيين قد بدأنا والحمد لله نتشبه بالغربيين في كل مايأتون فلم نفلح في اقتفاء أثرهم لترقية هذه الوسائط وتحسينها بل وقفنا عند حد حظنا معه حظ الاعمي يحرك شفتيه يقلد الرجل القارىء الكاتب

وهذه هي الجمعية الخيرية الاسلامية قد أسست فلم يقبل عليها الا النزر القليل وقلت ايراداتها عما يجب على ان نظائرها من الجمعيات الخيرية الاوربية كثيرة الاعضاء وافرة الايراد تؤدي الخدم الجليلة للانسانية لم يقتصر عملها على الاسداء الي العاجزين ومد يد المساعدة للعائلات التي تعيش تحت رحمتها بحيث لو

غضت الطرف عنهم لوقعوا فى مهواة الفقر المدقع بل تتلافى اللائذين بها أدبياً كما تتداركهم برعايتها ماديا فهى تستميلهم الى الشغل والمثابرة على العمل كما تبعدهم ماأمكن عن طريق البطالة والكسل

وكيفية ذلك ان تستعلم الجمعية بطرق سنتها عن القانطين من الصناع والتجار وغيرهم فتشترى من بضاعة هؤلاء لتطعم وتكسو منها عائلات الآخرين فى مقابل عمل تؤديه كتفصيل وخياطة أقمشة تفرق بعد صنعها على أرباب العاهات الموجودين في مأوي مخصوص أعدته لهم الجمعية ليسكنوا فيه وليؤدوا به عملا ما

هذا وقد شوهد ان غالب المنقطعين لتلك الجمعيات استغنوا عنها وتركوها طلبا للكسب بعد أن تعودوا على العمل المعهود لهم فصاروا بذلك أعضاء عاملين فى الامة بعد ان كانوا أثقالا عليها

فلو امتنع الذين ينفقون أموالهم على المتسولين فى الطرقات عن احسانهم المتقطع ووكلوا الى الجمعية الخيرية هذا الامر باعطائها دفعة واحدة أقل من القدر المبذول لامكنها القيام بما يجب عليها من حجز هؤلاء المتسولين عندها على يد الهيئة الحاكمة التى لاتتأخر عن مساعدتها في ذلك ولاتسع نطاقها حتى تبارى الجمعيات الخيرية الاوربية ثم هم بذلك يكفون أنفسهم مؤونة الحاح السائل وتكديره صفو راحتهم فى محلات ارتياحهم بهيئته التي يتصور فيها امامهم بأفظع مايمكن من الاشكال المحزنة المكدرة